

قد لا يكون الشعر الرعوي بالذات هو ما اجتذب الرومانتيكيين إلى الموروث الشرقي، لكنهم بكل تأكيد وجدوا في ذلك الموروث ما هو أكثر من ذلك، وبخاصة في إطار الأسطورة والحكاية الشعبية. في قصيدته المطولة ثعلبة (١٨٠١) حاول روبرت ساوذي Southey صياغة حكاية غرائبية بطلها شاب عربي مسلم، مستمداً مادته من عدد كبير من المصادر التي شملت القصص والشعر العربي. أما زميله الكاتب الرومانتيكي الآخر توماس مور Moore فقد نشر في عام ١٨١٧ مجموعة من الحكايات بعنوان لالا روخ تحمل طابعاً شرقياً في الشكل والمضمون. غير أن هذين الاثنان لم يبلغا من الشهرة ما بلغه الشاعر الرومانتيكي الآخر بايرون Lord Byron في قصائده القصصية «الحكايات التركية» (١٨١٣-١٨١٤). والواقع أن من الصعب تصور إمكانية ولادة مثل هذه الأعمال جميعاً لولا تعرّف الأوروبيين على تلك المجموعة القصصية الشرقية الكبرى ألف ليلة وليلة التي كان نشرها حدثاً هاماً في تاريخ نشأة علم الفلوكلور والرومانتيكية معاً. وكانت تلك المجموعة قد ترجمت لأول مرة إلى اللغات الأوروبية بين عامي ١٧٠٤ و ١٧١٧ على يد الفرنسي أنتوان جالان، كما سبقت الإشارة.

الشاعر وليم وردزورث Wordsworth (١٧٧٠-١٨٥٠) لم يبن شهرته على الموروث الشعبي الشرقي مثلما فعل سذني وبايرن ومور. لكنه في أشهر وأهم قصائده المقدمة " Prelude أشار إلى ألف ليلة وليلة كعمل فني أثر عليه، وتحدث عن حلم رأى فيه أعرابياً يقوم بدور المنقذ للحضارة من طوفان تتنبأ بمجيئه قصيدة عربية (انظر «المرجعية العربية لحلم وردزورث» في هذا الكتاب). وعلى ما في هذه الإشارات من أهمية، فإنها لا تعدل الأهمية التي أولاها وردزورث للموروث المحلي في بلاده. وحكاية اهتمام ذلك الشاعر بالموروث المحلي وتوظيفه إياه بالاشتراك مع صديقه الشاعر والناقد كوليرج Coleridge من أشهر فصول الحركة الرومانتيكية ليس في إنجلترا فحسب، وإنما في أوروبا عامة. ففي عام ١٧٩٨ أصدر الشاعران مجموعة عنونها قصائد *Lyrical Ballads* والبالاد الغنائية وظفا فيها القصيدة الشعبية المعروفة باسم «البالاد» وهي عبارة عن قصيدة حكاية بسيطة ذات إيقاع راقص غالباً وطبيعة شفوية. وأوضح وردزورث في مقدمة شهيرة أرفقها بالطبعة الثانية من المجموعة أنه تبني في قصائده لغة الريفيين الأكثر بساطة ونقاء من غيرها من اللغات، وذلك في رفض سافر